الفصل الثالث

صاحب الجلالة الرئيس

obeikandl.com

obeikandl.com

الرئاسة الأمريكية

باستثناء السياسة الخارجية ، فإن هناك أربعة أمور تشغل بال أى رئيس للولايات المتحدة ، فور جلوسه إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض وهى : (١) مجموعات الرأى مثل ، الصحافة والإعلام ولوبى رجال الأعمال والمثقفين وأساتذة الجامعات واللوبى اليهودى . . وغيرهم وغيرهم . (٢) الكونجرس (٣) الفضائح ، سواء التى يزخر بها ملفه القديم أو التى تلاحقه أينما حل . (٤) التاريخ ، والمؤرخون اللاحقون ، الذين سيمزقونه شرحا وتحليلا .

وإلى وقت قريب ، كان كل من يتعرض لرئيس ما ، يتناول عدة قضايا يجمعها قاسم مشترك ، قد يكون الشخص وقد يكون الزمن أو أشياء أخرى .

وقد ظهرت إحدى الدراسات بهذا الشأن تقول ، إن الدافع لها كان محض فضول ، أثارته تلك النظرة المتناقضة إلى الرئاسة ـ . فمفكرو «العهد الجديد » ـ New Deal ـ (هو برنامج تشريعى وإدارى صممه الرئيس فرانكلين روزفلت سنة ١٩٣٢ لحث عملية الانتعاش الاقتصادى والإصلاح الاجتماعى فى الثلاثينات ، ثم أطلق هذا الاسم على أي

obeikandl.com

برنامج حكومى يشبه برنامج روزفلت فى الأغراض والوسائل ـ وصار له كذلك مفكروه والمتشيعون له) فضلوا دعم وتقوية سلطة الإدارة الرئاسية فى مواجهة الكونجرس والمحكمة العليا ، بينما وقف المتحفظون اليمينيون ومفكرو الجمهوريين ، إلى جانب دعم سلطة الكونجرس وإدارات الحكم المحلى . واعتبروا أن حرب فيتنام ، خروجا على القاعدة، بذل من بعدها الكونجرس جهودا مضنية لأجل استعادة هيمنته على سياسات الضرائب والدين العام والشئون الخارجية بما فيها الحرب . وبانتخاب « رونالد ريجان » سرت جموع اليمنيين وهم يرون قائد البيت الأبيض فى منتهى القوة ومنتهى الاحترام للمؤسسات الدستورية .

واليوم ، فإن نفوذ البيت الأبيض قد تخطى بكثير الأغراض التى وضعت له عند تأسيس الجمهورية . وصار السؤال الآن : هل كل هذه المسئوليات الملقاة على عاتق الرئيس لضرورة عملية أم مجرد رغبات فردية؟؟ . .

وقد بدأت الدراسة من بعيد زمانا ومكانا : من انجلترا القرن السادس عشر ، والصراع بين الموالين للعرش وبين البرلمانيين ، حول السلطة والحكم والمسئولية الادارية ، مرورا بطرائق الحكم عند اليونانيين والرومان. ثم يتقدم إلى مؤسسى أمريكا ، الذين شاعت أيامهم افكار «بلاك ستون » و « مونتسكيو » و « هيوم » و « لووك » ، الذين أجمعوا على ضرورة امتلاك القوة كأول درس من دروس الحكمة السياسية ـ وهو الدرس الذى تعلمه العديد من المؤسسين على أيدى وزراء العرش وحكام المستعمرات من قبل الملك .

وبرغم أن المستعمرات كانت ذات نظام جمهورى ، من بداياتها الأولية .. فإن المستعمرين فى نزاعهم مع الدولة الأم ، بعضهم قد عاب فى الذات الملكية ، وحجب ولاءه للعرش حتى علموا بأن الملك « جورج الثالث » قد شهر بهم على أنهم مارقون متمردون ، فشعروا بالخيانة والاستبعاد . وهكذا صار من غير المحتمل أن يثق الأمريكان فى السلطة التنفيذية مرة ثانية (بعدما أغضبوا عليهم الملك) ، على الرغم من أن حسن النية فيهم كان متوافرا .

من الملاحظ أيضا أن واضعى دراسات « الفيدرالية » قد أولوا الرئاسة اهتماما ضعيفا فى حين يشكو بعضهم من التوسع السريع فى السلطات الممنوحة للرئيس ، بتعاقب المنتخبين ، بدءا من « توماس جيفرسون » عام ١٨٠٠ ولم يكن مرشحو الرئاسة قد نشطوا فى استجداء الناخبين صراحة ، بعد . وصار صعود الديمقراطية الـ « جاكسونية » (نسبة للرئيس « أندرو جاكسون » ١٨٢٨) والسياسات الجماهيرية ، بداية الممارسة الرئاسية الحديثة . ومنذ ذلك الحين ، ومع تزايد إغراءات السلطة ، صار الشغل الشاغل لمرشحى الرئاسة ، هو سياسة إدارة الحملة الانتخابية الناجحة ، وليست سياسة إدارة الدولة فيما بعد .

ولكن كيف تطورت العقيدة السياسية لدى الشعب الأمريكى ؟؟ . .

بعد عام ١٨٠٠ وعندما تخلى جيفرسون عن أفكاره عن الحكومة الصغيرة ، وبعد عام ١٨٢٨ عندما فقد الأمريكان الاهتمام بفلسفات الحكم ونظرياته ومثالياته ، مقارنة بالإنجازات القريبة والجاذبية الشخصية ، فإن السياسيين الامريكيين باستثناءات نادرة ألقوا وراء

ظهورهم بالأفكار والأيديولوجيات والمبادىء . . حتى إن قائدا عظيما مثل « لنكولن » كان يبكى وهو ينعى عقم الأخلاق والقيم الدينية والمثل أمام القوة والنفوذ والمصالح . .

وقد لوحظ منذ أكثر من قرن من الزمان ، أنه لا توجد نظرية بعينها فى حكم الولايات المتحدة ، فالشعب الأمريكى الكثير المطالب ، يريد من رئيسه ببساطة ، أن يراقب عنه الإدارات الحكومية ، ويتأكد من كونها تحقق رغبات الجماهير ، أما السياسة الخارجية فلا تعنيه فى شيء ، اللهم إلا إذا اقتربت منه سلبا أو إيجابا .

obeikandl.com

توماس جيفرسون

هو واحد من الرموز القلائل التى يفخر بها التاريخ الأمريكى ، لما أسدته لهذه الدولة القارة ولشعبها من خدمات جليلة لازالت توجه بطريق مباشر آليات الحياة فى هذا المجتمع . وعندما تنفرد أمريكا بقمة العالم ، فإن دراسة تاريخها وعقائدها والمؤثرات التى تتحكم فيها ، تصير من الأهمية بمكان . و « توماس جيفرسون » هو واحد ممن ساهموا بقدر كبير فى تشكيل العقيدة الأمريكية . ففيما بين عامى ١٧٧٦ و ١٧٧٩ ، ترأس « جيفرسون » اللجنة التى أنيطت بها مراجعة قوانين «كومونولث ! » « فيرجينيا » الجديد . كان وقتها لا يزال شابا يافعا شغوفا بالعلم والثورة سرعان ما ترقى إلى مستوى التحدى بتصفية المستعمرات القديمة من كل ما يمت بصلة للاحتلال والمحتل . وإعادة تشكيلها وتنظيمها كى تلبى حاجات الحكم الذاتى الجمهورى الجديد . كما أرسى العديد من المبادىء العامة الخالدة فى الحرية الدينية والتعليم والجريمة والعقاب ، تلك المبادىء التى صاغت إلى حد كبير القانون الأمريكى الحديث وبالأحرى صاغت رؤيته السياسية الخاصة . وقد حظى جيفرسون

باهتمام خاصة حول بداياته كمحام . وبالذات لأنه هو الذى راجع بدقة كل قوانين فرجينيا التى مهدت الطريق أمام باقى الولايات كتحديث قوانينها مما جعل بعض المؤرخين يؤرخون لجيفرسون على أنه هو الذى اخترع الدولة الأمريكية أو الشكل الفيدرالى للدولة الأمريكية الحديثة .

وعلى الرغم من هذا فان اعتبار « جيفرسون » كمصلح تشريعى وسياسى ، كان محل جدال حتى فى أفضل اعتباراته وكثيرا ما أصيب «جيفرسون » بالإحباط بسبب تعنت وعناد المشرعين الذين عاصروه ووقفوا ضد الكثير من اصلاحاته واتهمهم هو من جانبه بالفشل والتخاذل فى اتخاذ و إقرار البديل لأجل تشكيل الولاية، وقدم من جانبه مسودة هذا المشروع ، التى أعدها بعد توليه منصب حاكم « فيرجينيا » أثناء الحرب الثورية ، وهى الفترة التى عانى فيها الكثير ، وترك مكتب الحاكم تزفه ادعاءات معارضيه السياسيين بأنه كان السبب فى انهيار دفاعات الولاية أثناء الغزو الإنجليزى فى ٨٠ ـ ١٧٨١ . وانصرف إلى حال سبيله يلعق جراحه ولم ينقذ سمعته وتاريخه إلا انصرافه إلى اعداد مشروعه الذى كان جاهزا فى صورته النهائية فى عام ١٧٨٤ ، والذى اعتبر حجر الزاوية فى تأسيس العديد من الجمهوريات فى أوروبا وأسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية بالإضافة إلى الاتحاد الكونفيدرالى للولايات الأمريكية الذى روجع فى عام ١٧٨٧ وعدل إلى اتحاد فيدرالى بصورته الحالية .

وقد عمل جيفرسون ـ كنتيجة لتغربه فى أوروبا لسنوات ـ على نمو

وتطوير فلسفته التى كانت متشبعة بأفكار الثورة الفرنسية وتتخلص فى أن الأرض لمن يعيشون فوقها وحاول أن يحدد بنفسه طرق تنفيذ هذه الأفكار لاقتناعه الشديد بها . أيضا لا يجب إغفال موقفه المتحضر من العبيد ومحاولاته فى رفع شأنهم ومستوياتهم الاجتماعية بل ومحاولة تمييزهم عن العنصر الأبيض الذى ينتمى هو نفسه إليه .

obeikandl.com

روزفلت .. وتقسيم أوروبا

« إن اهتمامى الأول فى الوقت الحاضر ينصب على منطقة البلقان فهناك خطوات كثيرة جادة يجب أن تتخذها قبل أن تجرنا البلقان إلى حرب عالمية ، فى المستقبل . » . . أتدرون من قائل هذه العبارة ؟ ! . .

إنه « فرانكلين د . روزفلت » ، وقد قالها فى أكتوبر من عام ١٩٤٤ . حين كان رئيس الوزراء البريطانى « ونستون تشرشل » فى موسكو ، فى ذلك الوقت ، يتفاوض مع « جوزيف ستالين » فى خطة تقسيم « بلقان» ما بعد الحرب . وحسب ما ورد فى مذكرات السيد « رئيس الوزراء » فإنه قد ناول الزعيم الروسى ، قطعة من الورق ، كتب فيها المقترحات التالية : ـ تسيطر روسيا على ٩٠٪ من رومانيا ، وتكون لبريطانيا ٩٠٪ من السيطرة على اليونان ، ويتقاسم الطرفان السيطرة بالتساوى (٥٠ - ٥٠) على يوجوسلافيا ، والمجر ، ويتبقى للروس السيطرة على ٧٥٪ من بلغاريا . ولكن عقب انتهاء الحرب الباردة ، وتساقط الملفات الروسية السرية فى أيدى الخبراء ، ظهر أن الأمر لم يكن بالبساطة التى صورتها مذكرات تشرشل بل كان مباراة فى الشطرنج فى غاية الذكاء والتعقيد ،

اشتركت فيها أطراف عدة . من بين تلك الأطراف اللاعبة ، والتى كانت تتألق فى خلق موقف « كش ملك » ، الرئيس الأمريكى « روزفلت » الذى ظهر ممزقا بين مثالية « وودرو ويلسون » (الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة فيما بين عامى ١٣ ـ ١٩٢١ وقد ولد فى عام ١٨٥٦ وتوفى فى عام ١٩٢٤) ـ والواقعية البراجماتية لـ « تشرشل » .

ومن ناحيته ، فقد حذر الرئيس « روزفلت » مرارا وتكرارا ، الزعيم البريطانى « تشرشل » من مغبة عقد اتفاقات سرية لمرحلة ما بعد انتهاء الحرب .

وقد اتضح أن واشنطن لم تلق بثقلها كله دفعة واحدة فى الميدان الأوروبى المشتعل وإنما بدت كمن يتحسس خطواته فى الظلام . . فحين عرض على « هتلر » أن يتخذ اوروبا الشرقية كلها منطقة نفوذ خاصة به مع وعد بنصيب وافر فى القارة الافريقية ، فى مقابل إنهاء حالة الحرب ـ لم تحرك واشنطن ساكنا وفسر سكونها على إنه علامة الرضا واعتقد «تشرشل » بأنه لو بقيت « واشنطن » قانعة بهذا البعد الجغرافى والسياسى ، فإن موقف الحلفاء فى التفاوض مع ستالين بشأن تقسيم «أوروبا » مابعد الحرب ، سوف يتأثر بشدة . وهذا ما لم يحدث . إذ حين كان تشرشل يستعد للتسليم بالهيمنة الروسية على دول « البلطيق » ومنطقة « البلقان » ، اعترض « روزفلت » بشدة وإصرار ، إيمانا منه بالأفكار الوردية الجميلة التى حواها « ميثاق الأطلنطى » بشأن حق تقرير المصير الذي يجب أن يمارس بإرادة ، حرة وليس تحت هيمنة وضغط روسيين .

وفى نهاية الأمر ، انتصر رأى « تشرشل » ، إذ كان واضحا أن التسليم بمناطق نفوذ ، هو الحل الوحيد المطروح . وأن مناطق النفوذ هذه ، وإن كانت هى النواة لحرب باردة ، استمرت خمسين عاما ، فإن البديل لها ، هو الحرب الحقيقية بين حلفاء الأمس . واقتنع « روزفلت » بأن الابقاء على شكل التحالف القديم (أمريكا وروسيا وبريطانيا) وإبعاد شبح الحرب الثالثة (واستبدالها بحرب باردة) أهم وأفضل بكثير من التمسك بمبادىء « ميثاق الأطلنطى » النبيلة . وليذهب حق تقرير المصير إلى الجحيم .

وقد ظهر إن الأمريكان ، كانوا ولا يزالون ممزقين بين الحرية والواقعية البراجماتية ، فى نظرتهم وتناولهم لأمور السياسة الدولية . ويضيف أن الأحزاب السياسية المتحررة التى وضعها « ويلسون » والتى تعود فى أصولها إلى « جيفرسون » ، لم تكن مصاحبة للتدخل فى الشئون الاوروبية، أو مبررا رخيصا لذلك ، وإنما كانت أسمى من مجرد تدخلات أو مشاركات فى سياسات العالم القديم . لقد كانت تسعى إلى إعادة تشكيل أوروبا (ومن ثم العالم أجمع) من القمة إلى القاعدة .

وهكذا نضع أيدينا على بدايات ومنشأ الحرب الباردة وعلى قوتى التجاذب والتنافر اللتين تتحكمان فى السياسة الخارجية الأمريكية وترسمان مسارها فى المستقبل .

أسطورة الزمن السعيد

خلال الثلاثين سنة الأخيرة منذ اغتيال الرئيس الأمريكى الشاب «جون كيندى » توالت على المكتبات مئات الكتب التى تحوى ذكريات الحياة والموت وتؤرخ لدقائق عصره ، إنها أسطورة الزمن السعيد ومحط الأحلام الجميلة المفعمة بالأمل والحب والرضاء . غير أن ذاكرة الإنسان سريعة النسيان ورويدا بدأت مراجعة تاريخية وئيدة وعميقة من عند الجذور ، وصارت الأقلام الحمراء تخط خطوطا أو تضع علامات استفهام وأحيانا تعجب . وهكذا أخذت الصورة المتوهجة والفكرة المتأججة المأخوذة عن كيندى تخبو شيئاً فشيئاً حتى قبل أن تتحد الحقائق المثبتة مع الأكاذيب الملفقة على نفس الهدف بدءا من تضارب الآراء حول قصة المؤامرة والاغتيال إلى مغامرات الرئيس العاطفية ، إلى صولاته وجولاته السياسية . واستلذ كثير من المؤرخين ركوب الموجة والسير مع التيار الغالب . إن كل رئيس شعبى فى أى مكان فى العالم ، لابد وأن يمر بمرحلة التحجيم والتشويه كرد فعل طبيعى لما أنجزه على الساحة الجماهيرية . ولكن المدى الذى وصلت إليه محاولات تشويه كنيدى والتقليل من حجم الهالة التى أحاطت به ، وتلطيخ سمعته ، هذه

obeikandi.com

المحاولات ذهبت مذهبا بعيدا ، تغذيها ثأرات قديمة وعداوات متأصلة .

ومضت محاولات الاغتيال السياسى المتأخرة تتقصى وتتخير بحثا عن مادة جديدة تحيى القديم ، وعندما بات مؤكدا أن سمعة الرئيس الراحل لم تعد فوق مستوى الشبهات وأنه لم يعد له مثل ذاك البريق . ظهرت محاولات إعادة التوازنات التى اختلت والثقة التى فقدت ، ليس فى الرئيس الراحل فقط ولكن فى العمل الصحفى ككل . وذلك بكشف الحقائق التى طمست وسط هذا الزخم الكثيف من الأكاذيب .

وهو يصور أساسا عصر كيندى بمزيد من التمحيص والتدقيق .

وحين نستعرض حياة الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة بداية من مرحلة الشرنقة فى حياة الرئيس الشاب الذى تنتهى به الحملة الانتخابية الشرسة والعنيفة والتى كان يحوطه فيها آلاف من الناصحين والمساعدين والمستشارين المتشيعين له إلى الجلوس وحيدا فى المكتب البيضاوى لكى يبدأ التاريخ ، يحسب عليه وحده خلجاته وسكناته ويحاسبه على حركاته وتحركاته , إذ لابد من ضرورة دراسة كيندى كرجل «براجماتى » مارس سمسرة القوة فى الحرب الباردة ويبتعد تماما عن الشخصية المعقدة المتعددة الوجوه التى كان يبدو عليها الرئيس أحيانا لكى ينتهى بشعار أن كيندى بقى رجلا واحدا ووحيدا إضافة إلى كونه إنسانا مراوغا وسياسيا داهية .

أما عن التحول الذى حدث عام ١٩٦١ من أكبر رئيس إلى أصغر

رئيس فى تاريخ الولايات المتحدة ، أنه كان بمثابة انتقال للشعلة من جيل إلى جيل . . ليس هذا فقط ، بل إن الرئيس « دوايت ايزنهاور » لم يكتف بتسليم الشعلة وحدها إلى الرئيس المنتخب (٤٣ عاما « والذى فاز بفارق ضئيل جدا على منافسه « ريتشارد نيكسون ») ولكنه سلم معها موقفا عالميا متفجرا كانت عناصره كالتالى :

(١) بوادر أزمة دولية بين الحلفين التقليديين « وارسو والأطلنطى » تهب على برلين منذرة بمواجهة حادة بين الشرق والغرب .

(٢) رئيس من المتمردين يتولى الحكم فى كوبا « فيدل كاسترو » ويوثق صلاته بالاتحاد السوفيتى ويطبق مبادىء الاشتراكية الماركسية فى بلاده الواقعة الى جنوب أمريكا .

(٣) السياسة الأمريكية المتبعة فى آسيا ترتبك وتختلط عليها الأهداف ولا تكاد تميز بين الموالى لمصالح الأمريكان والمناهض لها .

(٤) أمريكا اللاتينية تتوحد تدريجيا تحت شعار « أيها الأمريكى . . عد إلى بلادك » .

(٥) زعيم سوفيتى جديد « خرشوف » يؤمن ايمانا قويا بأن عليه أن يقود الاتحاد السوفيتى لتدمير أمريكا .

(٦) أوروبا الغربية بعد حرب قناة السويس والعدوانى الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ وسؤال أكثر الحاحا عن مدى جدية والتزام الولايات المتحدة بالولاء لحلف « الناتو » ، بعد وقوف أيزنهاور إلى جانب مصر فى هذه الحرب .

(٧) كذلك رغبة الأوربيين فى تحقيق توازن تجارى مع واشنطن .

(٨) استقلال وبزوغ ونمو عدد من الدول الأفريقية التى هى فى رغبة ملحة للمساعدات الأمريكية .

وبعد . . فقد كانت تلك قائمة مختصرة بمصائب السياسة الخارجية التى كانت فى استقبال كيندى على أعتاب البيت الأبيض .

أما الجبهة الداخلية فلم تكن أقل اضطرابا أو اشتعالا . . فعلى مدى ثمانى سنوات قضاها أيزنهاور وهو يعمل بجد وجهد على جبهة الحقوق المدنية ، لم يستطع أن يحقق إنجازا ملحوظا . وبانتهاء فترتى رئاسته كان الجنوب يعانى بشدة من التفرقة العنصرية والأمريكان السود على وشك الانفجار من طول كبت الغضب والإحباط أمام التقدم البطىء نحو المساواة مع البيض .

وفى يوم ١٥ مايو ١٩٦١ كان العنوان الرئيسى لجريدة الـ « نيويورك تايمز » التى طالعها الرئيس كيندى فى هذا الصباح هو « هجوم على أتوبيسات للسود وضرب الركاب وإصابتهم فى آلاباما » . . وكأن هناك ثورة اشتعلت فى الجنوب . . ولعل أهم وأكبر التساؤلات التى طرحت نفسها على كيندى مبكرا ، هى من يعتمد عليه فى التعامل مع تلك القلاقل القومية ومن يستطيع أن يؤكد ويدعم قانون الأرض ؟؟ بالطبع لم يكن مكتب التحقيقات الفيدرالى .F.B.I المنقسم على نفسه أهلا لهذه المسئولية خاصة وعلى رأسه « ادجار هوفر » الذى عرف عنه التعصب الشديد والعصبية واشتهر بالتجسس وتسجيل المحادثات التليفونية

للسياسيين . . ونعرض هنا لمحاولات « هوفر » إرهاب وتهديد كيندى وضمه تحت لوائه بأساليب رخيصة تثير الغثيان لدى القارىء واشمئزازه. كل ذلك أضيف إلى آلام ومعاناة كيندى الشخصية التى كان يتصدرها إصابته السرية بمرض « أديسون » وهو ما كان يستنزف قواه الجسدية والنفسية . . والكاتب يسجل المعاناة اليومية للرئيس ومواعيد تناوله الدواء وجهوده المضنية لإخفاء حقيقة مرضه عن العامة . . إنها إذن الدراما بعينها أن تجمع أسباب القوة كلها فى يدى مبتدىء فى السياسة ، مريض ويعانى إلى جانب بلواه الاضطراب فى البيت وخارجه، (أما مرض « أديسون » الذى أصيب به كيندى فهو ضمور الغدة الجاركلوية الذى يكون غالبا بدون أسباب وينتج عنه نقص فى ضغط الدم وفقدان الشهية والوزن والضعف العام ونقص السكر فى الدم ونقص الصوديوم فى البلازما وارتفاع نسبة البوتاسيوم فيها وكذلك زيادة المواد الصبغية فى الجلد والأغشية المخاطية . . وهذا كله نتيجة نقص أو توقف افراز الكورتيزون فى الدم وكذلك هرمونات الذكورة وهرمونات أخرى حيوية) . . وقد وضعت تساؤلات وفى محاولة الإجابة عنها : وهى : هل كان كيندى يستطيع أن يتحمل ضغوط الرئاسة وهل كان على مستواها ؟ . .

للإجابة عن هذا السؤال لابد من محاولة إعادة السؤال تشكيل المناخ الذى كان سائدا فى البيت الأبيض وقتها متضمنا تصويرا حيا لأهم الشخصيات اللاعبة على المسرح فى ذلك الحين مثل « مارتن لوثر كنج » و « إدوارد لانزدال » و« مايك مانسفيك » وبدون أى تدخل أو محاولة

إظهار تفسير أو استنتاج معين سنحاول أن نرى كيف أدى كيندى دوره ببراعة كـــمــار للقوى إلى جانب دوره الرئاسى مع الأخذ فى الاعتبار الظروف القاهرة التى كانت تسود العالم آنذاك بالإضافة إلى طبيعة كيندى البراجماتية التى لا تلين :

فالرجل (كيندى) جاء متوافقا تماما مع عصره منسجما مع أحداثه الراهنة التى كانت تصطبغ أساسا بصبغة الحرب الباردة . . هذا لا يعنى أن كيندى لم يسهم بنصيب وافر فى الأخطاء العظيمة التى ارتكبت فى ذلك الحين ومنها : الفشل الذريع الذى لحق بخطة غزو خليج الخنازير « وهو ـ على عكس المتوقع ـ الشىء الذى زاد من شعبية الرئيس ١٠ نقاط لتصل إلى ٨٣٪ ـ بالاضافة إلى تورطه المشين فى مستنقع فيتنام » .

إلا أن نجاحات تلك الفترة سواء فى مجال الفضاء وأبحاثه أو انتصاراته وفى مجال تهدئة المواقف السياسية الملتهبة التى كانت متأججة وقتها لا تدع أمام من يتابعها إلا الإشادة بمواقف الرئيس كيندى وحكمته وبراعته فى تلك المواجهات التى كان يمكن أن تجر العالم إلى أزمات لاداعى لها .

ومن خلال هذا الإطار وداخله وحده ـ إطار بطل الحرب الباردة ـ حاول الباحث حصر إنجازات كيندى وقصرها . . موليا مهاراته الأخرى اهتمامات أقل مثل كونه أكثر الرؤساء الأمريكان فى عصر الحرب الباردة مقدرة على التنظير والابتكار وهو صاحب الأفكار والقرارات الجريئة مثل « هيئة السلام » وهى سلك وظيفى كامل يختص بأمور فض المنازعات

الدولية . والمشروع الكبير الذى يطالب بمشاركة دول حلف الأطلنطى مع الدول الصديقة الأخرى من أجل إحراز تقدم أكبر فى المجالات العلمية والاقتصادية . قد تكون تلك الخطوات طموحة بأكثر مما ينبغى ولكنها على أية حال كانت إيماءات ذات مغزى على الصعيد الدولى فيما يختص بمسلك أمريكا فى تلك الحقبة . . مما جعله يبدو عالميا كأعظم رئيس أمريكى . وهو ما جعل مأساة اغتياله ليلة عرسه السياسى دراما أبكت العالم من أقصاه إلى أقصاه . . ذلك طبعا بالإضافة إلى الكاريزما أو السحر الشخصى لجون كيندى وبلاغته ومهارته الخطابية . تلك الأشياء التى جعلت ملاحقته ومشاهدته أفضل من متابعة نجوم السينما لدى الأمريكان .

ومما يسجل أيضا من إنجازاته هو اتفاقية توسيع التجارة فى عام ١٩٦٢ والتى صارت نقطة تحول للاقتصاد الأمريكى . وكذلك معاهدة الحد من التجارب النووية فى عام ١٩٦٣ . وهكذا يبدو كم كان الرئيس متفتحا واسع الأفق بعيد النظر شجاعا مندفعا فى حماسة إذا ما آمن بفكرة ما ، وعلى المستوى الشخصى كان مرهف الحس ومثاليا سريع التأثر والحزن حاضر النكتة والبديهة .

الرئيس الأبغض .. جونسون

هذا الفصل يتناول بالشرح والتحليل شخصية الرئيس السادس والثلاثين فى حكم أمريكا ـ الرئيس « لندون جونسون » ـ والذى أجمع العرب على كراهيته بشدة وبدرجة لم تحدث مع رئيس آخر ، فهو الرئيس الأمريكى الذى زامن حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وأيد اسرائيل بالعدة والعتاد ووقف إلى جوارها سياسيا بكل ثقله حتى ابتلعت ما ابتلعت من أرض العرب . لذلك فإن اسمه يحمل معنى خاصا ذا مرارة لكل عربى .

فالحصول على القوة والوصول إلى القمة ، بداية التربع على العرش الرئاسى كان الشغل الشاغل له منذ صغره ومن أجله ضحى بالكثير ، فإن رجلا من رجال الأعمال ويدعى « تشارلز مارش » عرض على جونسون عندما كان شابا صغيرا فى الكونجرس سنة ١٩٣٧ أن يشترى حصته فى مشروعات « ريتشارد سن » دون دفع مقدم للثمن فقط عليه السداد الآجل من الأرباح ، وكانت تقدر تلك الأسهم بثلاثة أرباع مليون دولار فى هذا الوقت لكن « جونسون » على الرغم من تواضع أحواله رفض العرض شاكرا وقائلا : لا يمكننى أن أكون رجل بترول فلو عرفت العامة أن لى أنصبة بترولية فإن ذلك قد يقتلنى سياسيا .

لكن « جونسون » بالرغم من هذا كان شغوفا جدا بالمال فيحكى أنه كان السبب المباشر وراء تعارف اثنين من رجال الأعمال فاشترى أحدهما من الآخر عقارا فى « أوستن » ولدهشة البائع أنه وجد « جونسون » يقترب منه ذات ليلة ويطالبه بعمولته ، لكن البائع رفض الدفع بحجة أن «جونسون » لم يفعل شيئا أكثر من أنه كان سببا فى التعارف ، واعتبر الموضوع منتهيا خاصة أن تلك العمولة لن تتجاوز ألف دولار . وفى السابعة من صباح اليوم التالى فوجىء نفس البائع بأن « جونسون » ينتظره جالسا على سور حديقته وأعاد عليه طلب العمولة ولكن فى استجداء وتوسل ويتساءل الباحث : لماذا رفض جونسون العرض الأول إذن « ؟! » وماذا كان يريد من السياسة أكثر مما عبر عنه بأنه يريد أن يبقى فى الكونجرس حتى يخلو مقعد فى مجلس الشيوخ فيقفز عليه ، ولكن منطقته التى كان يمثلها فى الكونجرس آمنة ، وكونه رجل بترول لم يكن ليعيبه هناك وحتى عندما يدخل مجلس الشيوخ فإنه سوف يمثل «تكساس » وأيضا فإن ثمة شيئا لن يتغير . ماذا كان يقصد « جونسون » حين ضحى بالصفقة الأولى ؟

ولد جونسون عام ١٩٠٩ فقيرا فى ريف « تكساس » وعندما صار عنده ٢٨ عاما انتخب فى الكونجرس (١٩٣٧) .

وفى عام ١٩٤٨ حصل على مقعده فى مجلس الشيوخ « ٣٩ سنة » وتأكد فيما بعد أنه قام بالتزوير فى تلك الانتخابات ، ولم تكن هى المرة الأولى ففى الجامعة نجح أيضا بالتزوير فى الانتخابات الطلابية سنة ١٩٣٠ . لقد سجل رقما قياسيا فى الحيل السياسية والألاعيب على نفس

المنوال مما أكسبه سمعة سيئة بدأت فى المدرسة فعرف عنه أنه شخص غير مستقيم وغير أمين ولم يثق فيه أحد لدرجة أن أطلق عليه زملاؤه لقب «بول جونسون » أى « العجل جونسون » كان جونسون من أوائل من استعملوا المال من أجل الفوز بالانتخابات فبينما لم يزل هو بعد مساعدا صغيرا فى الكونجرس ، جلس فى فندق « سان أنطونيو » يشترى الأصوات الانتخابية مقابل خمسة دولارات للصوت الواحد . ويعد سباقه الاول فى الكونجرس ، من أعلى الحملات الانتخابية تكلفة فى تاريخ « تكساس » السياسى .

وفى سباقه الأول من أجل مجلس الشيوخ سنة ١٩٤١ أعطاه ممولو حملته من رجال الأعمال من الأموال ما يشترى ولاية كاملة بمن عليها ، أنفقها كلها فى حملته تلك . تولى الرئاسة سنة ١٩٦٣ وكان عنده وقتها ٥٤ عاما وكان المجتمع الأمريكى على بداية تحولات خطيرة اجتماعية وتعليمية ومدنية وعندما انتهت رئاسته صار المجتمع كله فى حالة سيولة اختلط فيها الحابل بالنابل ، عندما بدأ الرئاسة كان هناك ١٦ ألف خبير أمريكى يعملون فى فيتنام فى حرب كانت بالضرورة فيتنامية وعندما انهى رئاسته كان هناك ٥٣٦ ألفا من القوات الأمريكية يقاتلون فى أحراش فيتنام ، وثلاثون ألف قتيل أمريكى فى حرب « تأمركت » تماما .

تلك الحرب التى استنزفت أموال الشعب الأمريكى ولطخته بدماء أبنائه من الشباب الصغير ، مما نقل المعركة التى كانت تدور رحاها خارج الحدود إلى الداخل فى صورة عصيان مدنى على وشك أن يتحول إلى ثورة لقد بدأ « جونسون » عهده بانتصار انتخابى لم يسبقه إليه أحد

obeikandi.com

وأنهى عهده بهتاف جماهيرى يقول : « هاى (ال . جى) كم غلاما قتلت اليوم ؟ » هذا الهتاف كان صادرا عن جيل كره « جونسون » تماما ، لدرجة أن الأخير أعلن أنه لن يفكر فى أن يطلب من هذا الشعب إعادة انتخابه ثانية . عندما دخل « جونسون » المكتب البيضاوى كان أغنى رجل يجلس إلى هذا المكتب ، فبعد قليل من توليه الرئاسة نشرت مجلة «لايف » الأمريكية تحليلا عن ثروته وقدرتها بأربعة عشر مليون دولار «واعتبر هذا الرقم أقل بكثير من الحقيقة » وبفرض صحة هذا الرقم فإن هذه الثروة قد تكونت فيما بين دخوله مجلس الشيوخ ووصوله إلى سدة الرئاسة أى بمعدل نصف مليون دولار سنويا ، يقول موظفوه الأقربون إن وصوله إلى سدة الرئاسة لم يطفىء نهمه الشديد للمال ، إذ بمجرد وصوله للمكتب البيضاوى وضع كل موظف من إدارته فى مكانه وأعطاه ثقة عمياء فيتصرف موظفوه كيف يشاءون دون أن يعطوه مجرد معلومة ، أما هو فقد قام بتركيب عدة خطوط تليفونية تتصل بوكلائه والمحامين فى تكساس . وطوال الخمس سنوات التى قضاها فى البيت الأبيض أدار بنفسه مشروعاته وأعماله التجارية حتى التفاصيل الصغيرة فيها إلى أن حانت لحظته فغادر الرئاسة غير مأسوف عليه .

صحوة العملاق .. نيكسون

فى عام ١٩٧٤ كان « ريتشارد نيكسون » هو أول رئيس امريكى يستقيل من منصبه إثر فضيحة بجلاجل ، حتى لا يمسك به القضاء ، وأملا فى الحصول على عفو الرئيس القادم والكونجرس والرأى العام . وفى عام ١٩٩٤ ودع نيكسون إلى مثواه الأخير ، وداعا رسميا وشعبيا كواحد من أعظم الرؤساء الأمريكيين ، بل وأصاب الأمريكيين عامة حزن ووجوم لفقده ، وهو الشعب الذى لا يأسى على شىء . . فماذا حدث بين هذين العامين ؟ وما سر هذا التحول الحاد ؟ ؟ . .

عموما إنها لم تكن المرة الأولى فى حياة نيكسون التى ينهض فيها من بعد كبوة ويصحو من بعد غفوة ، فيفوز بالجولة ، بعدما انكسر سيفه وعثر جواده . . فبعدما كان نائبا للرئيس القوى جدا « دوايت ايزنهاور » ، هزمه الشاب الحديث العهد بالسياسة وأهلها ، « جون كينيدى » فى انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٠ ـ بفارق ضئيل للغاية ، ولكنها على أية حال كانت هزيمة ـ ثم هزمه مرة ثانية ، « إدموند براون » فى انتخابات المحافظين فى ولاية كاليفورنيا عام ١٩٦٢ . . وهكذا تلقى صفعتين

متعاقبتين ، ترنح على إثرهما وداخ وفقد توازنه ، وأخذ يفكر جديا فى أن يطلق السياسة بالثلاثة . .

لكنه عندما التقط انفاسه ، أعاد حساباته وقال فى نفسه (إنه لا حياة لى بعيدا عن السياسة والعمل العام .) . . فنظم صفوفه وشحذ همته وعاد خطوتين إلى الخلف ثم انطلق كالإعصار ، ففاز فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ ضد « هوبرت همفرى » و « جورج والاس » معا وكان ذلك بمثابة المكافأة على حياة سياسية طولها اثنان وعشرون عاما ، بدأت عندما فاز فى انتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٦ .

كانت تتحكم فى نيكسون العديد من العقد التى شاعت لعموميتها ، وأخرى لم تشع لخصوصيتها الشديدة . . فقد كان يعتقد أن السود والبيض لا يجب أن يختلطا ، وقال فى مناسبات متعددة « إننى لا أعتقد أن ما يدعونه تكاملا يمكن أن يفيد سيادة القانون فى شىء » ، وفى عام ١٩٧٢ بدأ يتخذ اتجاها متشددا ، فطرد كل السعاة السود من البيت الأبيض ، واستبدلهم بسعاة من البيض .

وكان نيكسون أيضا أشد عداوة وبغضا لليهود (على عكس ما أشيع عنه فى عالمنا العربى) ، وغضب جدا منهم عندما قاطعوا زيارة « جورج بومبيدو » لأمريكا ـ لأنه كان قد باع صفقة من الطائرات القاذفة إلى ليبيا ، وبناء عليه فقد ألغى ـ فى سورة غضب ـ تسليم صفقة طائرات مناظرة إلى إسرائيل . .

ومن آرائه فيهم : « إن كل اليهود يبدون كما لو كانوا يسعون قولا وفعلا

إلى تحرير تجارة الماريجوانا » . . إن مكاننا ليس بين السود واليهود . . «إن المشكلة المرعبة تنبع من كون اليهود قد سيطروا على أجهزة الإعلام سيطرة كاملة » . . « إن كل الفنون منهم ولهم ، إنهم يساريون » . .

وبالمثل أيضا لم يكن نيكسون متحمسا لقضايا المرأة ، وكان نيكسون يضمر كراهية خاصة للصحافة والصحفيين ، لما سببوا له طوال سنوات عمله من أذى بالغ ، وقال مرة للسناتور « إدوارد كينيدى » : إنهم اعدائى » . . لكنه أدرك مبكرا أهمية التلفزيون : إن شبكة تلفزيونية واحدة أهم من مائة جريدة ، لو وضعت جميعها معا . ثم عاد يقول : « إن الصحافة والتليفزيون لن يغيرا موقفهما تجاهى ، ما لم أؤذهما بشدة » وبقدر خوفه من الصحفيين ، كان يحتقر المثقفين ويزدريهم .

وعلى الرغم من نجاحه فى انتخابات الرئاسة على إنه جمهورى (١٩٦٨) ، إلا أنه وبداية من يناير ١٩٧٠ بدأ يتآمر لإسقاط الحزب الجمهورى وإحلال الحزب النيكسونى بدلا منه ، الذى سوف يتشكل من بعض من الجمهوريين القدامى وبعض من الديمقراطيين الجنوبيين الذين ساعدوه فى الانتخابات ، وتحالفات الأغلبية الصامتة من ذوى الياقات الزرقاء وذوى الدخول المتواضعة والبولنديين والطليان والأيرلنديين ـ وليس اليهود ولا السود ـ ويكون اتجاه هذا الحزب يمينيا فقط وليس أقصى اليمين . . وظل هذا المشروع يشغل بال نيكسون إلى آخر رئاسته .

أما حرب فيتنام تلك التى ورثها عن « لندون جونسون » فكانت

أعظم تحد لرئاسته .

منذ البدايات الأولى للمفاوضات ، كان موقف الفيتناميين الشماليين واضحا ، وهو : إزالة النظام الحاكم فى فيتنام الجنوبية (الذى تدعمه أمريكا) وعلى رأسه الجنرال « نجوين فان تيو » . . أما استراتيجية نيكسون فى تلك المرحلة فكانت من ثلاث نقاط : ١ ـ التوسع فى عملية سحب القوات الأمريكية من فيتنام الجنوبية .

٢ ـ استمرار الضغط على فيتنام الشمالية عن طريق القصف المؤلم على نطاق واسع ، وتلغيم موانئها . ٣ ـ رفض تسليم « تيو » رفضا باتا .

ومع تعثر المفاوضات تلك التى بدأت فى مارس ١٩٦٩ ، لجأ نيكسون إلى ضرب كمبوديا ولاوس بالقنابل بعنف شديد ، ولغم ميناء «هايفونج » . . وأثناء تلك التدهورات فى المواقف ، استمر فى سحب القوات الأمريكية ، واتفق هو وكيسنجر فى مايو ١٩٧٢ على إنهاء الحرب ، مهما كانت النتائج ، فى أغسطس .

كان واضحا أن نيكسون لم يكن مسئولا ولا كان عنده علم مسبق بعملية اختراق معقل الديمقراطية فى مجمع ووترجيت فى واشنطن العاصمة . وما حدث إذ أنه فى ١٨ يونيو ١٩٧٢ ، قبض على خمسة رجال يتصنتون على قادة الديمقراطيين ، عن طريق زراعة كاميرات سرية وميكروفونات دقيقة . وعندما أخبر رئيس الموظفين « نيكسون أقلقه الأمر كثيرا ، وفكر مباشرة فى رد الصفعه للديمقراطيين .

ولا يمكن أن يدعى أن نيكسون برىء تماما ، بل إن مذكراته تحفل

بالعديد من الحيل والخدع التى لم يكن يتورع عن ممارستها . فمشروعه الخيرى باسم « مساعدة الأسر » قصد منه فقط إحراج الديمقراطيين أمام الرأى العام ، عندما علم أنهم لن يوافقوا على تمريره . .

كما أن علاقة قوية كانت تربطه بأحد المشهورين بالأعمال القذرة فى البيت الأبيض ، وقد جند الأخير ، مخبرا خاصا لملاحقة السناتور «كينيدى » فى باريس ، والتقاط الصور الفاضحة له مع النساء الفرنسيات ، ثم تتسرب هذه الصور إلى الكونجرس والصحافة . .

لذلك لم يكن مستغربا تورط نيكسون فى فضيحة ووترجيت ، بل المستغرب أنه لم يكن متورطا فيها . . وذهبت الاتهامات إلى « اللجنة الجمهورية لاختيار الرئيس » .

أما ما ذهب إلى نيكسون وكل مساعديه ، فهو تغطيتهم ومداراتهم على الجريمة ومرتكبيها . . الوحيد الذى خرج من تلك الأزمة كالشعرة من العجين ، هو هنرى كيسنجر . .

وكان واضحا أن الموضوع برمته لم يشغل بال نيكسون إلا بعد الكشف عنه بسنة كاملة واقتربت أدلة الاتهام أكثر وأكثر من المكتب البيضاوى ، فارتبك الجميع بمن فيهم الرئيس الذى اندهش كثيرا لموقف كيسنجر : «أنه ينتظر ليشاهد كيف ستتصرف فى تلك الأزمة ، وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد » . . وآل نيكسون إلا أن ينفذ وحيدا بجلده ، فاستقال فى ٩ أغسطس ١٩٧٤ . ثم عفا عنه خليفته « جيرالدفورد » فهجر السياسة مؤقتا إلى الريف .

لقد كانت إحدى أهم هفوات نيكسون فى سياسته الخارجية ، هى إيمانه الساذج بأن التدخل العسكرى الأمريكى يمكنه أن يحل كل المشكلات الدولية . . وبالتالى فإنه لم يكن فى الأمور العسكرية ، واقعيا ولكنه كان مغامرا . . فمن بين ما كان يفكر فيه ، وأعد له خطته بالفعل ، هو أنه لكى يكسب الحرب الكورية فإن عليه أن يضرب الصين بالقنابل . . وفى عام ١٩٦١ وإبان أزمة كوبا ، فإنه نصح الرئيس كينيدى بغزوها (كوبا) وفى أواسط الستينات ، أخذ يحث الرئيس لندون جونسون » على تصعيد الحرب ضد الفيتناميين ، وحتى وعوده الانتخابية بتحقيق السلام فى فيتنام ، كانت على أساس الحسم عن طريق الضربة القاضية . . ويعتقد أن هذا الخطأ الأخير هو الذى عجل بنهايته شعبيا وليست ووترجيت .

وهكذا ، اعتبر المحللون أن نيكسون كان رجلا صغيرا ذا أفكار عظيمة . ولكن أعظم أفكاره كانت حول الحصول لنفسه على مقعد فى الصف الأول ، إلى جوار عظماء التاريخ . وكان أبطاله ومثله العليا فى القرن العشرين ، هما « وينستون تشرشل » و « شارل ديجول »

لكن نيكسون لم تكن عنده النية لأن يترك للتاريخ أمر تحديد مرتبته ، فأخذ يحث موظفى إدارته على تفخيم وتضخيم صورة الرئيس . . وقال : « خاصة وقد مات ديجول ، فإن لديكم فرصة ذهبية لتصوير الرئيس على أنه قائد العالم . . » ولقد أوحى له ديجول بالطريقة ، فيقول : « إن الطريق إلى صنع كاريزما ، هو أن تكون منعزلا ، غير مطال غامضا قدر الإمكان ، فلقد اعتقد ديجول أن الإفراط فى الظهور يقلل من الجاذبية

الشخصية ووقعها فى أذهان الناس » .. لقد أراد أن يكون زعيما أسطوريا، ومن القواعد الأساسية التى كان يلقنها لموظفيه : « إنه فى غاية الأهمية أي لا تضعوا الرئيس فى الموقف الذى يمكن أن يعطى ولو للحظة الانطباع إنه كان مخطئا » .. وهكذا عاش نيكسون فى عالمين : عالم فانتازيا القائد العالمى التاريخى الاسطورى ، وعالم واقعية سياساته وممارساته التى كانت تخطىء وتصيب ..

قال عنه كيسنجر مرة : « إن نيكسون كان ممتازا جدا فى التعامل مع الهزيمة ، أما الانتصار فكان يربكه تماما » .. وكان أكبر تحد واجهه فى حياته ، هو هزيمته لآخر مرة فى حياته ، واضطراره للتعامل مع هذا الواقع الأليم ، آملا فى تحقيق المستحيل ، وكان ذلك مباشرة بعد عام ١٩٧٤ .

فبعد فضيحة ووترجيت وقراره اعتزال الناس ، قضى ثلاثة أعوام ونصف فى كتابة مذكراته . وفى فبراير من عام ١٩٧٦ بدأ يسترد عافيته قليلا ، فزار « بكين » فى الذكرى الرابعة لزيارته لها (كرئيس) واستقبله هناك رجالات الحرس الشيوعى القديم بحفاوة وتكريم بالغين ، كان لهما أعظم الأثر فى نفسه . وفى يناير ١٩٧٩ دعاه الرئيس جيمى كارتر إلى البيت الابيض ليكون فى استقبال الزعيم الصينى « دنج هسياوبنج » . ثم زار الصين مرة ثانية فى سبتمبر من نفس العام .

أما الصحافة التى عاداها وعادته طوال عمله الرئاسى ، فقد انقلبت لصالحه تماما وكأنها تعتذر عما بدر منها فى حقه . فعندما انتقل للسكنى

فى مدينة نيويورك عام ١٩٨٠ استقبلته مجلة « نيويورك » فى عددها الصادر فى ٩ يونيو ، بأن وضعت صورته على الغلاف ، وخصصت له فى الداخل ست صفحات بالعناوين : « عودة رتشارد نيكسون ـ أسرع عودة فى العالم ـ إنه يتمشى فى الشوارع فى الصباح الباكر ويوقع باسمه على الأوتوجرافات . . وبدأ يعيش حياة اجتماعية ، فأخذ يدعو الناشرين والصحفيين والسياسيين إلى منزله فى نيويورك ثم إلى منزله الجديد » .

وفى فبراير ومارس ١٩٩٣ وأثناء الحملة الانتخابية الرئاسية ، أرسل مذكرة إلى خمسين فردا من ذوى النفوذ يقول فيها إن نجاح التحول الديمقراطي فى روسيا يمكن أن يحدد مصير العالم فى الخمسين سنة القادمة ، لذلك فقد طالبهم بالدعم غير المحدود لـ « بوريس يلتسين » ضد انهيار مأساوى يقوده عواجيز العهد البائد ، وعندما زار نيكسون روسيا قبل وفاته بقليل آثر إلا أن يلتقى بأعداء يلتسين أولا ، لفرط شغفه باستكشافهم ومحاورتهم ، مما أثار غضب الزعيم الروسى عليه وفض مقابلته . وعند الغوص فى أعمق أعماق نيكسون لاستكشاف جذور شخصيته ، فيقول إن عمادى بنيانه النفسى ، هما : علاقته بأمه ، وشعوره الدائم بالغربة بين أبناء الطبقة الارستقراطية فى الشرق الأمريكى .

فالجانب المظلم فى شخصيته ، وتعود أصوله إلى والده المتعجرف العنيد والكثير الجدل « فرانك » لم يظهر إلا بعد وفاة والدته الطيبة « حنا » فى سبتمبر ١٩٦٧ . . فطوال حياة « حنا » وهى تكبح جماح ابنها ،

وتطمر خصاله السيئة ، فقد كانت له دعامة أخلاقية ومثالية قوية ، بل وألهمته البصيرة والمثل السياسية العليا ، حتى ماتت . .

ويمكن أن يكون نيكسون قد تأثر سلبا بمثالى العنف السياسى فى الستينات الديمقراطيين ، جون كينيدى ولندون جونسون . . فكان هو أول سياسى يدير حملة انتخابية سالبة (قائمة على اتهام الخصم فقط) ضد خصومه باتهامهم بأنهم شيوعيون . وإليه يرجع قدر من الفضل فى ظهور المكارثية فى أوائل الخمسينات . أما حملته الانتخابية النظيفة ضد كينيدى فى ١٩٦٠ فكانت لأن الأول كان يعمل تحت رئاسة « دوايت أيزنهاور » وفى ظله . . ومن هنا فإن البعض يعزو ظهور الجانب المظلم فى شخصية نيكسون ، ليس فقط لموت أمه ، ولكن أيضا إلى انحسار ظل أيزنهاور عنه ، فظهرت تلك السلبيات أول ما ظهرت فى حملة ١٩٦٨ التى فاز فيها ، وكذلك فى فترته الرئاسية الاولى . .

على أية حال . فقد كانت رحلة فى عقل رئيس ساهم إلى حد كبير فى رسم ملامح العالم للقرن القادم . . وأراد لنفسه مكانة متميزة فى التاريخ ففعلها . . وهكذا فقد كانت رحلته من الهزيمة إلى الانتصار رحلة شاقة، لا يستطيعها إلا عملاق .

كانت أفضل هواياته ، قهر المستحيل . . . . .

فضائح أم الرئيس كلينتون

كثيرا ما نسمع عن أبناء لآباء مشهورين سجلوا قصص حياتهم وانطباعاتهم والأشياء الخاصةلهؤلاء الآباء ، ولكننا نادرا ما نسمع عن العكس ، أن يسجل الآباء قصة حياتهم وحياة أبنائهم المشهورين وان يجنى الآباء ثمرة شهرة أبنائهم حين يقبل العامة والخاصة على قراءة هذه الكتب . بالطبع هذا الرواج لا يكون لمزية خاصة فى هؤلاء المؤلفين قدر ما هو اهتمام بأبنائهم وهكذا يتحول هؤلاء الآباء فجأة إلى كتاب من الصف الأول ، ونجوم لقوائم أحسن المبيعات فى بلدانهم وربما فى العالم . .

من هؤلاء ، بل فى مقدمتهم على الإطلاق ، تأتى أم سيد البيت الأبيض ، البيت الأشهر والأقوى فى العالم كله ، السيدة « فرجينيا كيلى » والدة الرئيس الأمريكى « بيل كلينتون » والتى توفيت بعد توليه الرئاسة بفترة وجيزة ، وقبل أن يصدر كتابها ـ ولعل شهرة الإبن الطاغية هى السبب الأوحد والمباشر الذى جعل دار النشر تسعد باقتناء تلك المذكرات وقد اختارت لها المؤلفة « قلبى دليلى » عنوانا فهى نبضات

ودفقات شعورية حية . أقل ما يقال عنها أنها خير مثال للروح الأمريكية الأصلية ، وشخصية الوسط بالذات ، وهى الشخصية التى تتميز بالحيوية الطاغية والمرح والحبور والإقبال على الحياة دونها فلسفة أو تعقيد. إضافة إلى سخرية لاذعة ومقدرة بارعة على خلق المواقف الكاريكاتورية الضاحكة من أقسى الأمور قتامة وكآبة . إنه إذن فن الاستمتاع بالحياة على الطريقة الأمريكية ولذلك استحقت السيدة كيلى خلال كتابها لقب الأمريكية الأصيلة .

فهى تحب الصداقات الحميمة والخروج خارج البيت والرجال ، هذا بالطبع غير حبها الأساسى للرقص والشرب والتدخين والمراهنة فى سباق الخيل (حيث تقول إنها قضت عمرها فى حلبة سباق الخيل فى « هوت سبرنج » مدينتها التى تتبع ولاية « آركانساس ») . . كانت تحب أيضا أن تذهب إلى الحفلات محوطة برهط من الأصدقاء من الرجال والنساء الذين كل همهم فى الحياة ، أن يأكلوا ويشربوا ويضحكوا ويعملوا فقط فى أوقات الفراغ . . نقطة ضعفها كانت فى حبها الزائد للتميز والتفرد والشهرة ، فكانت تفرط فى التأنق حتى تتألق ، وتستعمل الألوان الزاهية والمساحيق الثقيلة وأحدث التسريحات وتقضى ساعة ونصف يوميا فى لصق الرموش الصناعية بشكل « أقدام العنكبوت » . . وهكذا تقضى الجزء الأعظم من حياتها ومذكراتها بين علب ماكياجها .

ولأن الكاتبة تهتم كثيرا بالمشاعر الانسانية وملحقاتها ، لذلك نجدها تميل كثيرا إلى الأغنيات الرومانسية الرقيقة المعبرة .

الكتاب « قلبى دليلى » هو احتفاء خالص بالمشاعر . لا يكاد يهبط إلى أرض الواقع إلا ليستقى منها مادة تعيد دفعه إلى أعلى ، إلى عالم الرومانسية السماوى ، حيث تحلق الكاتبة متفردة فى سمائها الخاصة . تقول عن نفسها : « إن فلسفتى فى الحياة هى أن أعيش حاضرى بقوة . . »

عندما بلغت الواحدة والخمسين كانت قد ترملت ثلاث مرات ، فقد فقدت أحد أزواجها فى حادث سيارة ، وفقدت الثانى إثر إدمانه الكحول وإصابته بالسرطان ، أما الثالث فقد مات مريضا بداء البول السكرى . وعلى الرغم من تربية كيلى ونشأتها الدينية إلا أن عقيدتها كانت مشوشة إلى حد كبير ، وعاشت « براجماتية » نفعية ، واخترعت لنفسها عملية سيكولوجية ـ غسيل المخ ـ تتغلب بها على صروف الدهر ومحنه . وكانت تتميز بعدم الغيرة وحب الظهور .

ولدت « فرجينيا ديل كاسيدى » عام ١٩٢٣ فى قرية صغيرة فى «بودكاو » فى ولاية « أركانساس » . . والداها هما « أديث جريشام كاسيدى » و « جيمس الدريدج كاسيدى » ، كانا صغيرين فى السن ، وسرعان ما رحلا من تلك القرية التى اشتهرت بزراعة القطن ، والتى كان إيقاع الحياة فيها بطيئا بالنسبة لشابين فى مقتبل العمر إلى مدينة أكبر « هوب » (٥٠٠٠ نسمة) من نفس الولاية ، حيث يمكنهما الحركة على نطاق أوسع . .

حديث كيلى عن والديها يحوى الكثير من المقارنات الفجة بينهما ،

obeikandi.com

فوالدتها كانت امرأة غير راضية ، مزعجة ، مثيرة للضجر ولا تمل من الشكوى ، وتنتابها دائما نوبات من الصياح والثورة فى وسط الليل فى وجه زوجها ، الذى كانت تغار عليه بجنون . . أما والدها « الدريدج » فكان طيبا ، مهذبا ، كريما ، معروفا وسط جيرانه بخصاله الحميدة ، وكان يعمل فى توصيل طلبات الثلج للمنازل والمحلات ، ثم عمل بعد ذلك فى محل لبيع المشروبات ، وأخيرا امتلك لنفسه محلا صغيرا للبقالة . . هذا فى الوقت الذى كانت تعمل فيه الأم العصبية كممرضة ، وهى المهنة التى أورثتها ابنتها كيلى (ممرضة تخدير) .

وبعد عدة سنوات من هذه الحياة القلقة ، شاء القدر أن تساهم «أديث كاسيدى » الجدة ، فى رعاية وتربية حفيدها « بيل كلينتون » الذى توفى والده صغيرا فى حادث سيارة ، ولم يكن طفله قد ولد بعد . . وعلى ما يبدو أن تلك الاحداث قد زادت من حدة التوترات العصبية التى كانت تنتاب « أديث » فكانت كثيرا ما تضرب ابنتها كيلى بالسوط حتى يسيل منها الدم . . وفى أوائل الخمسينات أدمنت المورفين ، وعندما ساءت الأمور أكثر ، أدخلتها كيلى مصحة للأمراض العقلية ، حيث قضت هناك عدة أشهر .

والمؤلفة تصور لقاءها بإحدى فتيات الجيل الجديد ، تصويرا يليق بإحدى الحلقات الكوميدية التليفزيونية ، وعلى الرغم من أن هذه الفتاة لم تثر لديها إلا مشاعر الرثاء إلا أنها أرغمت فيما بعد على التعامل معها كواحدة من مفردات المستقبل ، فقد كانت « هيلارى رودهام » زوجة ابنها فيما بعد . تقول كيلى : « عاد إلى « بيلى » يوما ما وبصحبته فتاة

باردة، فى بلدة كل ما فيها ساخن حتى اسمها (هوت سبرنج) أما كلماتها فكانت تنبىء عن ثقة واعتداد بالنفس كبير ، وقال لى إنها زميلته فى الحقوق . . لم تكن تضع ماكياجا ولم يكن زيها مهندما وكانت نظارتها فى سمك زجاجة الكوكاكولا ، وكان واضحا إن مشطا لم يوضع فى شعرها من مدة طويلة . . . تراه كان تمردا ، أم عدم اهتمام بالإشارات التى سادت وقتها بضرورة الاهتمام بالمظهر كجزء من الحركة الأنثوية ؟؟» . . هكذا استقبلتها السيدة كيلى ، التى كانت تشع حيوية ، وتكاد تلتهم الحياة التهاما ، فكان لقاء الأضداد ، ليس فقط فى اختلاف الأعمار ، ولكن أيضا فى اختلاف السلوك والأفكار . . ولم يبد أن أيا من المرأتين كان سعيدا بهذا اللقاء بينهما .

ما حدث بعد ذلك هو أن « بيل » أسر لأمه برغبته فى الارتباط بـ «هيلارى » بصورة قاطعة : « بالنسبة لى يا أمى ، فإما « هيلارى » أو لا أحد على الاطلاق . . وأخبر بيل أحد أصدقائه : « ثمة توتر ثقافى بين أمى وبين هيلارى . . هذا هو فى رأيى سبب عدم الارتياح المتبادل بينهما» . . غير أن كيلى تذكر أن الأيام قد فعلت أفاعيلها وصارت هيلارى صديقةحميمة . . وأعتقد أنها تحبنى أيضا بمثل القوة ، لقد زادتها الحياة خبرة ، وزادتها الخبرة جمالا وبهاء » . . ثم تعود الحماة فتتذكر مظاهر هيلارى الشابة الصغيرة التى كانت تستعد لكى تزف لابنها : « كنت أصر على أسنانى كلما قابلت هيلارى ، فقد كانت تتملكنى رغبة عارمة فى أن أجلسها على حافة البانيو وألقنها دروسا فى الماكياج وأشرح لها كيف تظهر كل هذا الجمال الطبيعى الذى تداريه تحت قناع التلقائية والطبيعية وما إلى ذلك . . إن شيئا من هذه الأمور لم يكن يشغلها البتة ،

أما ما كان يستحوذ على اهتمامها فكانت الدراسة أولا ثم أشياء أخرى جيدة أيضا ، مثل برامج توجيه الشباب ، أما الماكياج فلم تكن تسمع عنه » . . جدير بالذكر أن هيلارى مؤخرا تعمل بنصائح حماتها حرفيا وتستجيب لدروسها فيما يخص فنون الموضة والزينة .

كانت كيلى تأتى إلى حملات « بيل كلينتون » الانتخابية المختلفة ودورها البارز فيها ، حتى أبطأ المرض من حركتها وحددها ، وهذه المجهودات توجت بالطبع بآخر الانتصارات وأحلاها وأقواها على الإطلاق ، يوم فاز الابن فى انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٩٢ ولسخرية القدر إنه فى اليوم الذى يتوج فيه ابنها الأكبر « أميرا » على البلاد ، يكون السرطان الذى بدأ معها فى عام ١٩٩٠ ، قد استشرى فى جسدها تماما ، ويكون ابنها الأصغر « روجر » قد تورط فى تجارة الكوكايين وقبض عليه وحكم عليه بالسجن لمدة عامين ، وكأن الحياة قد قضت عليها إلا أن تموت مرتين . . إن قراءة هذا الفصل الأخير من حياتها وهى تصارع السرطان اللعين ، لتبعث فى النفس حسرة وأسى ، ليس لأنه كتب بمزيد من الأسى والحسرة ، ولكن لأنه ليس كذلك . . .

أعظم المحاربين الدبلوماسيين

عندما تنتهى مدة خدمة السياسيين الفرنسيين تتلقفهم البنوك الحكومية او الشركات الكبرى بالترحاب ولكنهم أبدا لا يعودون للحياة السياسية . أما نظراؤهم فى بريطانيا فقد يبقون فى مجلس العموم «كأعضاء » غالبا ما ينضمون للمعارضة أو يحصلون على مقاعد فى « مجلس اللوردات » والقليل منهم قد يذهب إلى مجالس إدارات الشركات أو إلى مجلس المدينة ولكنهم إطلاقا لا ينالون وظائف حكومية حساسة مرة أخرى .

يشذ عن كلا النظامين ماهو معمول به فى الولايات المتحدة الامريكية إذ تتاح للسياسيين هناك فرصة التنقل بحرية كاملة بين الوظائف العامة والوظائف الخاصة .

يعتبر « دين اتشيسون » أعظم وزير خارجية فى الإدارات الأمريكية حتى الآن فهو المؤلف المشارك لـ « خطة مارشال » فيما عرف بـ « مشروع مارشال » لدعم الاقتصاد الأوروبى وهو مهندس التحالف الغربى فيما عرف لاحقا بـ « حلف الأطلنطى » وهو كذلك القائد الدبلوماسى

obeikandl.com

لعمليات الحرب الباردة فيما بين عامى ١٩٥٣ و ١٩٧١ . عندما ذهب إلى فرنسا فى أكتوبر عام ١٩٦٢ ليطلع شارل ديجول على تفاصيل أزمة الصواريخ التى نشرت فى كوبا مبعوثا من قبل إدارة كيندى . فإنه ماكاد يبدو من بعيد أمام « ديجول العظيم » حتى انفرجت أسارير الرئيس الفرنسى قائلا لمن حوله « ها هو ذا . . الرجل »

استقالة « دين » من منصبة كوزير للخارجية عام ١٩٥٣ لم تنف عنه تهمة إهانته لعدد من وجوه المجتمع الأمريكى وخاصة السيناتور «جوماك كارثى » وحلفائه فى الفترة الحرجة التى عرفت بـ « الجنون المكارثى » إذ فشل فى أن يخفى امتعاضه من الإهانات وانتهاك الحرمات التى صار اللوبى المعادى للشيوعية يقترفها فى ذلك الوقت موظفو الإدارة الامريكية آنذاك وضعوا برنامجا للولاء ، الغرض منه استبعاد كل من كانت لهم علاقة بنظام « شيانج كاى شيك » الصينى . وهكذا كان الدور على «دين » أن تقذف به موجة الجنون العام تلك بعيدا فآثر الاستقالة . هذه التصرفات العشوائية منه فى تلك الفترة جرت عليه المتاعب ودفع ثمنها غاليا ، فما من إدارة تعاقبت وتعاملت معه إلا ووجهت بلوم شديد لتعاملها مع هذا المنشق .